يعدُّ دليلاً على ارتقائها ففيهِ نظر لكنهُ مما تلجئُ اليهِ الضرورة حيث لا يتيسر وجود لفظ عربي قديم او محدث يقوم مقام الاعجمي والاَّ فان ادخال اللفظ الاعجمي مع وجود لفظ عربي بمعناهُ كاستعمال الاورطي مثلاً في مكان الأبهر والألبومين مكان الالح والجيلاتين مكان الهلام والكاوتشوك مكان المطَّاط والأسيد مكان الحامض ... كل ذلك يعدُّ دليلاً على انحطاط اللغة كما لا يخفى على ذي بصيرة" — وقد انصف اللغة العربيَّة بقولهِ في تضاعيف مقالة اللغة والعصر (البيان صفحة ٣٢١) : " ولكن حقيقة الكمال في اللغة ان تكون بحيث يمكن ان يستنبط من نفس اوضاعها الفاظ لما يحدث من المعاني لا لن تكون بحيث تستغني عن المزيد اذ المعاني ابدًا تتجدَّد وليس من المحتمل ان قومًا يضعون الفاظًا لمعانٍ لا توجد" ومن مقرَّراتهِ " ان القاعدة في اصول علم الوضع أن يستنبط الاسم من طريق المجاز او الاشتقاق " الى غير ذلك عيسى اسكندر معلوف

اسلوبنا في التعريب

سئلنا عن الاسلوب الذي يجري عليهِ في التعريب اي في ترجمة الكلمات الاعجمية او نقلها الى العربيَّة . وكان يجدر بالسائل ان يتوسع في السؤال حتى يشمل التعبير عن بعض المعاني التي لم تخطر على بال العرب فان تعريبها او التعبير عنها بالعربيَّة لا يخلو من مشقة قد تزيد على المشقة من نقل الالفاظ او ترجمتها . ويسهل ارجاع الاساليب التي جرينا عليها في الترجمة والتعريب الى القواعد التالية

﴿ القاعدة الاولى ﴾ الكلمات الاعجمية التي نعرف لها كلمات عربيَّة ترادفها نترجمها بمرادفاتها

ونريد بالكلمات الاعجمية الكلمات التي من اللغات الاوربية وبالكلمات العربيَّة كل ما رأيناهُ في كتب اللغة والادب جاريًا على الاوزان العربيَّة ولو كان اصلهُ يونانيًّا كقلم او فارسيًّا كابريق او سريانيًّا كقيس او قبطيًّا كسلطان او حبشيًّا كشكاة . وكل ما كان كذلك ولم يكن جاريًا على الاوزان العربية كالاسندرا وجندبدمتر وقنطاريون

ولهذه القاعدة شواذ قليلة فلا شواذ في الافعال اي اننا لا نستعمل فعلاً اعجميًّا اذا وجدنا لهُ فعلاً عربيًّا

ولا شواذ في الحروف الاَّ في ده الفرنسوية واوف الانكليزية ونون الالمانية في مثل

لورتزوده مديسي وبرنس اوف ويلس وفرن كثير فان هذه الثلاثة حروف اضافة او نسبة ويستغنى في العربيَّة عنها ولكن شيوعها في ما ترد فيه من الاسماء المركبة يحمل الاستغناء عنها عثرة في سبيل ادراك المعنى بسهولة . فالذي يقرأ كلمة برنس اوف ويلس يدرك حالاً انهُ لقب ولي عهد انكلترا ولكنهُ اذا قرأ برنس ويلس او امير ويلس فقد يظن ان المراد بذلك شخص آخر غير ولي العهد

واما الاسماء ففيها كثير من الشواذ حيث شاعت الكلمة الاعجميَّة وصارت ادل على المراد من الكلمة العربيَّة مثل كلمة برنس المذكورة آنفاً فانهُ يُفضل استعمالها في بعض الاماكن على استعمال كلمة امير فلو قلنا امير اوف ويلس او امير ويلس بدل برنس اوف ويلس لظن القارئ او السامع اننا نريد شخصاً آخر غير ولي عهد انكلترا . وقد تدلُّ القرينة على المراد ولا يكتفى بها لانهُ يشترط في حسن التعبير أن يؤدي المعنى المراد الى ذهن السامع باقل ما يكون من الوقت والكلفة والاسراف في القوة الصوتيَّة . وقد كان علماء العرب المبرّزون مثل ابن الاثير وابن سينا وابن البيطار يجرون هذا المجرى ايضاً اي يستعملون الكلمة الاعجمية التي الفتها الاسماع وصارت ادل من الكلمة العربيَّة على المعنى المراد . ولكن اذا امن اللبس وامن ايضاً تشويش ذهن القارئ او السامع فضلنا اللفظ العربي على اللفظ الاعجمي فنقول الامراء اعضاء العائلة الخديوية ولا نقول برنسات العائلة الخديوية ونقول امراء اوربا ولا نقول برنسات اوربا

ومن هذا القبيل اي من قبيل الكلمات الاعجميَّة التي نفضل استعمالها احياناً على استعمال الكلمات العربية او المعرَّبة قديماً كلمة داء المفاصل فاننا قد نستعمل كلمة روماتزم بدلاً منها . وكلمة توتيا فاننا قد نستعمل كلمة زنك بدلاً منها . وكلمة نشادر فاننا قد نستعمل كلمة امونيا بدلاً منها . مراعين في ذلك كلهِ مقامات الكلام من التخصيص والتعميم وما تستوقفهُ من فهم السامع او القارئ . مثال ذلك انك تجد في الاخبار العلمية في الجزء الماضي كلمة روماتزم بدل داء المفاصل لان المفهوم من داء المفاصل انهُ يقع في مفاصل اليدين او الرجلين وقلما يخطر على بال غير الاطباء انهُ بسبب الظهر فلما رأينا ان الشفاء المشار اليهِ في تلك البذة كان في الظهر اخترنا كلمة روماتزم وقد صارت مألوفة عند الجمهور وذكرها لا يشوش ذهن القارئ مثل ذكر كلمة داء المفاصل واطلاقها على داء في الظهر اذ المراد تأدية المعنى المطلوب الى ذهن السامع من اقرب الطرق وباقل ما يكون من الكلفة لا اظهار سعة علم الكاتب بالفاظ اللغة

﴿ القاعدة الثانية ﴾ الكلمة التي لا نعرف لها مرادفاً في العربية ولكننا نرجح او نظن ان لها فيها مرادفاً نفتش عن مرادفها في ما ننقله من لغة وسأل عنهُ ونبحث حتى اذا ظفرنا بهِ ووجدنا انهُ يؤدي المعنى المراد تماماً استعملناهُ دون غيرهِ من ذلك كلمة mercenaries فان معناها الجنود المستأجرة من بلاد اخرى على ما كانت جارية العادة بهِ في الازمنة القديمة فلما اردنا تعريب هذه الكلمة قلنا لا بدَّ من ان يكون العرب استعملوا كلمة تدلُّ على هذا المعنى فوجدنا في بعض المظان كلمة مسترزقة مستعملة للجنود المستأجرين ومعناها الاشتقاقي يدل على معناها الاستعاري فاعتمدناها. ومنهُ كلمة tributary اي النهر الصغير الذي يصبُّ في النهر الكبير فاننا وجدنا لها في كتب الرحلات القديمة كلمة ناصر والجمع نواصر ورأينا انهُ يسهل ادراك المراد بها من معناها الاشتقاقي فعرَّبناها عليها وعلمٌ جرًّا

واذا وجدنا ان اللفظ الاعجمي او العامي الذي ليس عربياً كثير الشيوع واستعمال غيرهِ يضيع الفائدة على القراء اضطررنا ان نعدل عن اللفظ العربي او الفصيح الى اللفظ الاعجمي او العامي مثال ذلك اننا وجدنا كلمة نقاوي مستعملة في هذا القطر بدل كلمة بذار . وكلمة الباخ البلدي مستعملة بدل كلمة زبل . وكلمة كبري مستعملة بدل كلمة جسر . وكلمة طمي بدل كلمة ابليز . وكلمة بوسطة بدل كلمة بريد . فحاولنا في اول الامر التشبث بالكلمات العربية مثل بذار وجسر او المعرَّبة منذ عهد طويل مثل بريد ولكننا رأينا ان تشبثنا هذا يضيع الفائدة على جمهور القراء فان الفلاح المصري لا يستعمل الاَّ كلمة نقاوي ولا يفهم الاَّ كلمة نقاوي ولا يستعمل الاَّ كلمة كبري ولا يفهم من كلمة جسر الاَّ حافة مجرى الماء واذا استعملتَ كلمة بذار مرة في الاسبوع او في الشهر سمع كلمة نقاوي مئة مرة او الف مرة فرأينا ان محاولة تغيير لغة العامة في هذه الكلمات وامثالها ضرب من العبث واضاعة للوقت وتضييع للفائدة فجاريناهم في ما نكتبهُ لهم اما ما نكتبهُ لانفسنا اي اذا خطر لنا خاطر واردنا التعبير عنهُ نظماً او نثراً فاننا نعود الى بذار وبريد وجسر وابليز . واكثر الذين لا يراعون فهم الجمهور يكتبون لانفسهم لا للجمهور

﴿ القاعدة الثالثة ﴾ الاعلام الاعجمية التي رأيناها شائعة الاستعمال كتبناها حسب استعمالها سواء كان قديماً مثل ابرهيم ويوسف او حديثاً مثل المانيا واميركا وفرنسوي ووليم وهنري . والاعلام الاعجمية التي لم يكن استعمالها شائعاً كتبناها كما يلفظها اهلها او باقرب ما يكون من لفظها الاصلي مثل بيكنسفيلد وكروس وهارفي وروزفلت

والاعلام التي عُرِّبت منذ زمن قديم بلفظ مخالف لما تلفظ بهِ الآن عند اهلها مثل

البندقية لقيسيا وصقلية لسيسيليا فهذه تتابع الاقدمين فيها عند امن اللبس ولاسيما اذا كان الكلام عن حادثة تاريخية قديمة فاذا ذكرنا حروب الاتراك مع اهل قبلوسيا قلنا مع البندقة ولكن اذا اردنا ان نشير على زارع او صانع ان يجلب مادة ما لزراعته او صناعته من البندقية لم نذكرها بهذا اللفظ بل عدنا الى لفظ قنيس او فينيسيا حتى اذا طلب البضاعة من تاجر او عميل اوربي لم يخطئ هذا مرادهُ

والاعلام التي اخذها الافرنج عن العرب وحرّفوها مثل القاهرة وقرطبة واشبيلية نكتبها حسب اصلها العربي اذا عرفناهُ وأمن اللبس

❖ القاعدة الرابعة ❖ في تعريب الكلمات الجديدة التي لا مرادف لها في العربية اذا رأينا ان الكتّاب عربوها قبلنا وشاعت الالفاظ التي وضعوها لها فالغالب اننا نجاريهم ولا نحاول وضع الفاظ اخرى لها ولذلك تابعنا اساتذة المدرسة الكلية السورية في تعريب الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والفصفور وعلّموا جرّا وجاريناهم في مثل منغنط فعلاً من المغنطيس وكهرب من الكهرباء وترقن فعلاً يراد بهِ كسر جانب من عظم الجمجمة بعمليّة جراحية. وجاريا جمهور الناس في استعمال التلغراف والوابور والسيافور والفرقاطة

واذا لم نرَ ان الكتّاب سبقونا الى تعريبها عينا باستعمال الكلمة التي تقدّر لها طول البقاء فلما اخترع التلفون وقرأنا عنهُ بعد اختراعهِ ببضعة عشر يوماً عرفنا مزيتهُ حالاً وثبت لنا انهُ سيشيع شيوع التلغراف في كل الاقطار ويصل الى بلادنا ويصل اسمهُ معهُ ولا يهتم التجار الذين يأتون بهِ بكلمة جديدة نضعها لهُ حتى لو عرفنا اننا وجدنا فعلاً عربياً معناهُ تكلم الانسان مع غيرهِ عن بعد واشتققنا منهُ اسماً لهذه الآلة فان هذا الاسم لا يتغلّب على اسم تستعملهُ الامم المتمدنة كلها. ونرى الآن اننا احسنّا لاننا لم نخالف امم العالم في الاغارة على اسم وضعهُ مخترع هذه الآلة لآلتهِ وابدالهِ باسم نضعهُ نحن لها. وقس على ذلك الفونوغراف والمكروفون والاوتوموبيل

ولما جاء بعض الاميركيين الى بيروت بالبسكل وكان عجلتين واحدة كبيرة جدًّا وواحدة صغيرة جدًّا وفي ركوبهِ مشقة كبيرة ظننا انهُ ليس مما يشيع استعمالهُ وان التريسكل ذا العجلات الثلاث يتغلّب عليهِ فلم نستعمل الاسم الافرنجي بسكل بل كلمة دراجة واطلقناها على الآلتين والدرّاجة كلمة عربية تؤدي المعنى المراد بسهولة والافرنج انفسهم الذين وضعوا كلمة بسكل لذات العجلتين والتريسكل لذات العجلات الثلاث يعدلون عن الكلمتين احياناً كثيرة ويبدلونهما بكلمة سيكل اي عجلة ولذلك فالساعة في مصر الذين

يسمون هذه الآلة "عجلة" حكم منا ومنهم لانهم يكتبون بهذا الاسم

وغني عن البيان اننا التزمنا ان نجاري العلماء في المصطلحات العلمية التي تفقد دلالتها بتعريبها كالحامض الكبريتوس والكبريتيك والمتاكريتيك والهيبوكبريتوس والهيبوكبريتيك لان لكلٍّ من هذه المختات والزوائد معنىً خاصًّا يدلُّ على تركيب المادة المسماة به كما يعلم دارسو الكيمياء. فمن يسمي الحامض الكبريتيك بالحامض الكبريتي كمن يسمي الفرس حمارًا لان لكل منهما رأسًا وذنبًا. وان نجاريهم ايضًا في الاسماء العلميَّة كلها سواء كانت حيوانية او نباتية او تشريحيَّة اي سواء كانت اسماء حيوانات او نباتات او اعضاء في جسم الانسان والحيوان والنبات جارين في ذلك كله مجرى المسعودي وابن سينا وابن البيطار ونحوهم من الاعلام الذين كتبوا في العلوم الطبيعيَّة على انواعها . والذين خالفونا في ذلك كان خطأهم اكثر من صوابهم مثال ذلك ان الاطباء كلهم يسمون الشريان الكبير الخارج من القلب باسم الاورطي وقد سماهُ ابن سينا كذلك وقال ان ارسطوطاليس يسميهِ بهذا الاسم الاَّ انك ترى في المقالة السابقة ان المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي لم يجبهُ هذا الاسم فقال يجب ان يترجم بالابهر ولكن صاحب القاموس يقول ان الابهر هو الظهر وعرق فيهِ ووريد العنق والاكحل. وقال صاحب التاج ان اجمع الاقوال فيهِ قول ابن الاثير انهُ عرق منشؤهُ من الراس ويمتد الى القدم . ويستنتج من كل ما قرأناهُ عن وصف هذا العرق انهُ وريد لا شريان واذا ثبت انهُ الاكحل فالاكحل وريد حتمًا كما نص عليهِ ابن سينا واما الاورطي فشريان. ويليق بكل المترجمين ان يطالعوا قانون ابن سينا ليروا كيف كان علماء العرب يترجمون

هذا من حيث الالفاظ الاعجمية اما المعاني فاما ان تكون حقيقة او مجازًا وكلٌّ منهما اما مألوف عند العرب وخلفائهم واما غير مألوف فهذه اربعة انواع من المعاني المختلفة

الاول الحقيقي المألوف مثل ركوب الفرس وشرب الخمر فالمعاني التي من هذا القبيل نترجمها بما يدل على معتادنا فنقول شرب الشاي وشرب الافسنت وشرب سر الملك او نخبهُ واستخرج الراديوم واستقطر النفتول

والثاني الحقيقي غير المألوف نترجمهُ بلفظهِ او بما يقاربهُ كصوَّت لهُ واطلق المدفع فان التصويت في الانتخاب معنًى جديد لم يكن معروفًا على الصورة الحاضرة وكذلك اطلاق المدافع لان المدافع لم تعرف عند العرب الاَّ في اواخر عهدهم في الاندلس بعد وضع اللغة واهالي الشام يقولون قوَّس المدفع والبندقية مستعارة من شدَّ قوس الوتر لرمي السهم. وقد نستعمل كلمة رمى من الرماية اي رمي السهام فنقول رماهم بالقنابل او بالطرابيد

والثالث المجازي المألوف مثل يقظ الفتنة وامات العواطف ومزّق الشمل ووقف منهُ مزجر الكلب فانا قلما نجد صعوبة في العثور على ما يرادفهُ في العربية

والرابع المجازي غير المألوف مثل لعب دورهُ . وذر الرماد في العيون . وبعدي الطوفان . فالاستعارات التي من هذا القبيل نفتش الاَّ عمَّا يرادفها او يقاربها من الاستعارات العربيَّة فان لم نجدهُ واستحسنا الاستعارة الافرنجية خفَّفنا لفظها وسهولة ادراك معناها ابقيناها على حالها أي ترجمناها ترجمة حرفية بتصرُّف او بغير تصرُّف حاسبين انها ربح تكتسبهُ اللغة . ويظهر لنا ان كل الذين تقدمونا من المترجمين الاولين مثل الظومي وابن المقفَّع وابن حنين جروا هذا المجرى حتى في ما وضعوهُ في العربية من الكتب والرسائل ولذلك تجد لكلٍّ منهم تعابير خاصَّة بهِ ليست من مناحي العرب

وخلاصة المقال اننا نبذل جهدنا في اجتناب الكلمات والاساليب التي ليست عربية فنفتش عن مرادفاتها او نترجمها بما يؤدي معناها الاَّ اذا وجدنا انها قد شاعت وصارت مفهومة او انها ستشيع حتمًا وتتغلَّب على غيرها او انها اعلام لا تترجم . ولا نجهل اننا قصَّرنا مرارًا فاستعملنا الفاظًا واستعارات غير عربية ولها الفاظ واستعارات عربية ولكننا لم نفعل ذلك عن قصد الاَّ حيث وجدنا غير العربي اصلح من العربي

بقي ان البعض لامونا لاننا لم نستعمل بعض الاسماء التي وضعها غيرنا لبعض المسميات الجديدة كالمجهر للمكرسكوب والمنطاد للبلون . وكان جوابنا عن ذلك ان لفظة ميكرو اليونانية دخلت في كلمات كثيرة مثل مكروب ومكرو بولوجي ومكرومتر ومكروفون وقد شاعت بعض الكلمات الداخلة في تركيبها في كل اللغات الحية كلمة مكروسكوب والآلة المسماة بها كثيرة الشيوع ايضًا يستعملها الاطباء وباعة المنسوجات وكل علماء الطبيعة والذين يستعملونها لا يخطر على بالهم الاَّ اسمها العلمي . وقد شاع هذا الاسم عندنا واستعملناهُ مرارًا كثيرة نحن وغيرنا قبلما وضعت كلمة مجهر . ثم لما وضعت كلمة مجهر رأينا انها لا تدل على المعنى المراد بل قد تدلُّ على ضدهِ لان الشائع من مشتقات جهر اجهرُ صفةً مشبهة وجاهر فعلاً وكلمة اجهر اكثر شيوعًا يستعمل الخاصَّة والعامَّة واما كلمة جاهر فقلما يستعملها غير الخاصَّة . ومعنى الاجهر الضعيف البصر الذي لا يرى في الشمس فاذا سمع الجمهور كلمة مجهر فالمرجح انهم يعلقونها بضعف البصر لا بقوتهِ على تكبير المرئيات او على رؤية الشيء الصغير الذي لا يرى بالعين لصغرهِ ولو عُرِّب المكرسكوب بكلمة مِظَر او مُظهر او مكبِّر لكانت ادل على معناهُ

وكلمة منطاد وُضعت بعد ان شاعت كلمة بلون ايضًا . والشائع من مادتها انما هو كلمة

طود . واذا ذكرت كلمة طود انصرف الذهن الى ان المراد جبل عظيم راسخ . نعم انك تجد في كتب اللغة ان معنى انطاد ذهب في الهواء صعدًا ولكن هذا الفعل لا يخطر بالبال ولم نرهُ في كتاب غير القواميس . ولم رأينا كلمة منطاد اول مرة ظننا واذا راءه ومن المرجح عندنا ان اصل الدال في طود وانطاد راء اخطأ الناسخ او القراء في كتابتها او قراءتها فان الطور الجبل في العربيَّة وغيرها ولا يزال علمًا لجبال معروفة مثل طور سينا وطور ظابور . ثم ان همَّ صاني البلون منصرف الآن الى منعهِ عن الصعود في الهواء وجعلهِ يسير قرب سطح الارض فيصير معنى المنطاد مخالفًا للمراد . ومع هذا كلهِ فلو وُضعت هاتان اللفظتان للكرسكوب والبلون قبل شيوع كلتي مكرسكوب وبلون عندنا او لو كانت الدلالة من لفظيهما على المعنى المراد واضحة تمام الوضوح لما استصعبنا استعمالها الى ان يقضي الناموس الطبيعي ببقاء الاصلح

هذا ومما يحسن ذكرهُ هنا اننا اطلقنا كلمة مكروب على كل الاحياء المكروسكوبيَّة قبل ان اطلقها عليها علماء اوربا واسيركا فكنا نعرّب المقالة من مقالاتهم وفيها كلمة باشلس فنضع بدلاً منها كلمة مكروب وفيها كلمة بكتيريا نترجمها بكلمة مكروب لكي لا تشوش اذهان القراء بذكر الفاظ غريبة انما يراد بها تخصيص هذه الانواع . ثم جعل الكتَّاب الاوربيون يجرون هذا المجرى ايضًا فشاعت كلمة مكروب في كتاباتهم كما شاعت عندنا ولا ندَّعي انهم فعلوا ذلك اقتداء بنا كلاَّ وانما الحاجة الى الاقتصار على كلمة واحدة دعتهم الى ذلك كما دعتنا

واللغة جسم حيٌّ قام وشأن من يحاول منعها من النمو شأن الصينيين الذين يربطون اقدام بناتهم لكي لا تنمو وتبلغ حدها الطبيعي ولكن اذا كان النمو شوهًا فلا بد من تقييده وتهذيبه

ولا يراد باللغة واهلها ان تبقى وتبقى كما كانت وكانوا في عصر الجحشي والخوارزمي و لاَّ لزمنا ان لا نتخذ غير الجمل مطيَّة وغير السيف سلاحًا . وهذه خطة لم يجرِ عليها العرب بل نرى بين انشاء اهل القرن الاول والثاني وانشاء اهل القرن السادس والسابع نظمًا ونثرًا من الفرق الجلي ما لا تجد اكثر منهُ بين انشاء اهل هذا القرن وتلك القرون كما يتضح للباحث المحقق . ولو استطاع احد ان يحصي كم دخل العربيَّة من العبرانية والسريانية والقبطية والروميَّة من الالفاظ والتراكيب حتى قبل انصرام القرن الثالث لوجد ان العربيَّة كانت حينئذٍ لغة حية نامية كالانكليزية والفرنسوية والالمانية الآن وان الذين يريدون الرجوع بها الى العصر الاول واقفال ابوابها دون الجديد يعملون على موتها وتضييق سبل المنشئين والمعربين وناشري لواء العلوم والفنون